



OPEN ACCESS

This work is licensed under a [Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)



RAHAT-UL-QULOOB

Bi-Annual, Trilingual (Arabic, English, Urdu) ISSN: (P) 2025-5021. (E) 2521-2869
Project of RAHATULQULOOB RESEARCH ACADEMY,
Jamiat road, Khiljiabad, near Pak-Turk School, link Spini road, Quetta, Pakistan.
Website: www.rahatulquloob.com

Approved by Higher Education Commission Pakistan

Indexing: » Australian Islamic Library, IRI (AIUO), Tahqeeqat, Asian Research Index, Crossref, Euro pub, MIAR, ISI, SIS.

TOPIC

دور تعليم المرأة وتربيتها في سعادة المجتمع في ضوء سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

The Role of women's education and their training for the development of society: A Study in the light of Seerah of the Holy Prophet (PBUH)

AUTHOR

1. Dr. Ikram ul Haq Al-azhari, Associate Professor (V), International Islamic University, Islamabad, Pakistan. Email: drikramulhaq@gmail.com
2. Dr. Hafiz Muhammad Siddique, Assistant Professor, Department of Shariah & Law, International Islamic University, Islamabad, Pakistan. Email: hafiz.siddique@iiu.edu.pk

How to Cite: Dr. Ikram Ul Haq Al-Azhari, & Dr. Hafiz Muhammad Siddique. (2022). ARABIC: دور تعليم المرأة وتربيتها في سعادة المجتمع في ضوء سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم. The Role of women's education and their training for the development of society: A Study in the light of Seerah of the Holy Prophet (PBUH). *Rahat-Ul-Quloob*, 6(2), 71-94.
<https://doi.org/10.51411/rahata.6.2.2022/434>

URL: <http://rahatulquloob.com/index.php/rahata/article/view/434>

Vol. 6, No.2 || July–December 2022 ||ARABIC-Page. 71-94

Published online: 28-08-2022

QR. Code



دور تعليم المرأة وتربيتها في سعادة المجتمع في ضوء سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

The Role of women's education and their training for the development of society: A Study in the light of Seerah of the Holy Prophet (PBUH)إكرام الحق الأزهرى¹ حافظ محمد صديق²**ABSTRACT:**

The nations who, want to progress, keep education as their top priority hence they devote their maximum resources for the spread of education and betterment of scholars. Unfortunately, Muslim countries are going through its worst phase in this regard as the primary strengthening features are absent in their educational systems. The biggest factor behind that is the misunderstanding of confining the beneficial knowledge to the religious knowledge only. Even some scholars prohibit from acquiring the knowledge of applied branches like Chemistry, Physics etc with the pretext that they do not bring any religious reward. On the other hand, Islam essentially is all about acquiring authentic knowledge and spreading it. The captives of Badar were released on the condition of teaching ten Muslims how to read and write. The Holy Prophet PBUH spared a day for the women education exclusively. So, Islam has always encouraged women education and Muslim history is full of its evidences. The people, who restrict women to the houses and prevent them from acquiring education, do not have true understanding of Islam. The only way forward is to revive the spirit of education in the society and encourage women to study and progress.

Keywords: Knowledge and power; Women education; education in Islam; Rights of women

الدولة التي تريد أن تنهض بحق هي الدولة التي تخصص أعلى ميزانية للتعليم، والتي يحترم العلم وتقدر العلماء. ولا شك أن التعليم في العالم الإسلامي أجمع يمر بمرحلة قاسية وسيئة، فمقومات التعليم التي تؤسس جيلا يتمسك بدينه و يعزه و يتفهم ما يحاك حوله من مؤامرات دولية هي مقومات معدومة لا وجود لها.

ولقد ظهر لدينا مشكلة في مفهوم العلم الناقع و العلم الشرعي من غيره. الأمر الذي تفهمه كثير من الناس على أنه علم الفقه و التفسير و علوم الشريعة فحسب. أما العلوم التطبيقية من كيمياء والرياضيات فإن هذه العلوم لا دخل للشرع فيها ولا يثاب المتعلم لها على شيء، بل إن من العلماء المتواضعين ينشرون بين الناس أن أي علم دون الفقه أو علوم التفسير لسنا بحاجة إليها!! ومما يؤسف له أن هذا المفهوم قد أضر بالمسلمين أيما ضرر جعلهم يخسرون دينهم و دنياهم على السواء، ولقد تناول القرآن الكريم سيل المعرفة ونصت المواقف النبوية الشريفة من خلال سيرته وتعليماته العطرة صلى الله عليه وسلم على هذا المنهج. والذين يعدون عن نهج القرآن و السنة النبوية ولا يريدون لذلك طريقا للنجاة قد عموا، و أصموا عن الرؤية و عن الفهم الجيد للإسلام.

ولقد ورث المسلمون عادات جاهلية في معية الرسول سعوا بكل الوسائل على محوها واستبدالها بتعاليم الإسلام الراسخة.. فأحوال المسلمين الأوائل الذين وجدوا في مجتمع جاهلي لم يحسن فهم غرض وجود الإنسان في الحياة، غير المتأه وقد أقروا بذلك حين قالوا "إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ"¹ فهذا معتقد خطير.. وأما الآية الآتية فتقول على ألسنتهم " وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ"² جهل غريب خال من العلم.. وحين قال الرسول الكريم "لا تسبوا الدهر فإن الله تعالى هو الدهر"³ كان يريد أن يتعلم المسلمون أن ما أصابهم من شدة وبلاء أو نكبة هم مسؤولون عنها بجهلهم فعليهم ألا يتبعوا الظن وإنما يتبعون الأصول ويهتدون إليها.

ولقد وصّى الرسول بالعلم.. وذكر القرآن الكريم آيات متنوعة ومتعددة عن العلوم والمعارف، وانتقد المجتمع الجاهلي بقوله تكرر في القرآن الكريم " لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ" وذكر كذلك " أَفَلَا تَعْقِلُونَ" ليتبين أولاً أننا تعلمنا فلا تصح أن نكون مثل نحفظ الكلام ونشره دون فهم أو دراية أو معرفة...

ولقد لقي المسلمون الأوائل اضطهاداً شديداً جداً جداً من أعداء الدين.. ويبدو أن أعداء الدين الآن يضاهاون نفس فعل الكافرين الأوائل.. وغاية هذا وذلك أن لا ينمو للإسلام صوت ولا يعلوه حسن.

ولقد بدأت الدعوة الإسلامية علم، وليس هوى متبوع أو رأى يتبناه الرسول الكريم. بل جاء على أسس وقواعد. ولقد بدأ الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام جلسة علم المسلمين الأوائل في دار الأرقم ابن أبي الأرقم في ظل أجواء من العداوة والكراهية. وهنا لا بد وأن يدرك المسلم أن في ظل العداوة لا بد وأن يوجد لنفسه سبلاً للتعليم والعبادة كما كان في عهد موسى عليه السلام حين سألو فقال "وَأَجْعَلُوا يُبُوتَكُمْ قَبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ"⁴ إن البيوت الآن خاوية من جلسات العلم فمن أين يأتي فرج الله لنا، ومن أين تأتي الجارية!؟

وفي غزوة بدر الكبرى إشتراط النبي الكريم على الأسرى المشركين أن يقوم كل واحد منهم بتعليم عشرة من المسلمين. كما خصص النبي الكريم للنساء يوماً، فتعليم المرأة من ركائز فهم الإسلام، وتبا لمن حبس المرأة وقيد حركتها وسجنها في البيت باسم الدين. فحبس المرأة في البيت هي في الأصل عقوبة "وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْقَأْحَشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَدْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَقَّأَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا"⁵ فمن أين جاء البعض بآراء تسجن المرأة وتمنعها من تكملة تعليمها.. وما زال الصد والرد في هذا الميدان قائماً.. ومازلنا نتأخر ويتقدم غيرنا.. تظل مسألة التعلم هي الأهم والأخطر في حياة الأمم والشعوب وترتفع مكانة الأمة بقدر ما تقدمه من آداب وعلوم ومبادئ ولذلك تتحمل الدول الإسلامية المسؤولية الكبرى فيما وصلت إليه حالات التردى الحضاري والتراجع الإنساني في شتى مجالات العلم والمعرفة.

ولقد تبين أن الدول العظمى ترصد للتعليمي أعلى ميزانية في الدولة لأن عليه تقوم علوم الأمم وفهنتها والأمر ليس بالكلام بل بالتتبع والسيطرة فنحن نلمس بأيدينا نحن المسلمين أنه الحالة الصحية والتعليمية في بلادنا متردية جداً، ومازلنا

نلجأ في علاج أبناء وطننا في الخارج، وما زال أبناؤنا يذهبون إلى الغرب (أوروبا أو أمريكا) ليدرسوا العلوم والمباني المتطورة ولتتقوا على أحر المخترعات التي توصلوا إليها وتخلصنا نحن عنها.

العلم في الشرع الإسلامي:

نحن المسلمين عندنا إشكالية كبيرة جدا بشأن العلم الذي ندرسه، فقد انقسم المسلمون للأسف في التعامل مع العلم ومما يؤسف له أن فريقا كبيرا من العلماء يرى أن الأجر والثواب على علوم الفقه والحديث والتفسير والقرآن فحسب، وهذا هو العلم الذي سوف يقودنا إلى الفوز بالجنة ويطرحنا بعيدا عن النار! وللأسف فإن المسلمين وحتى هذه الساعة يرون هذا الرأي ويعملون به.⁶ وهذه النظرة تحتاج لمراجعة دقيقة واجتهاد جديد لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولا بد من فهم حقيقة التقدم الحضاري الذي سارت به الأمة الإسلامية العالمية أجمع.

العلم والتوجه التكليفي:

تعرض مفسرون كثيرون إلى مسألة خلق آدم عليه السلام ودار حديث طويل على السنة المفسرين وجدل عقيم على السنة المتكلمين في شأن أفضلية آدم عليه السلام أم الملائكة.⁷ وكذلك ما تم مناقشته على سبيل البيان والايضاح بأن هناك أفضلية لآدم لأن الله تعالى فضله بالعلم على سائر المخلوقات.⁸

ولقد ذكر القرآن الكريم موقف آدم منذ بعد الخليقة ثم قال "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"⁹ وبالنظر في هذه الآية نلمس حقيقة يحسن الإشارة إليها...

1. وعلم (الله) آدم الأسماء كلها، فكله الأسماء كلها تدل على الشمولية ولم يكن هناك قبل هذا التعليم فقه أو تفسير أو حديث لذلك كان الأرجح هو تعليم مفردات وأسس علوم الكون ومسميات وخواص الأشياء فضلا عن التوحيد وأشار آخرون بأن الله تعالى علم آدم كل ماله علاقة بالأكوان والكائنات... ولا بد من معيار للتفرقة بين كائن وكائن.¹⁰

فيكون العلم الأول هو معرفة العلم التطبيقي وفروعه وربطه بخالق الكون سبحانه. وهذا ما تجلّى في قول الملائكة "قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ".¹¹

إننا الآن قبل أية رسالة وقبل أي تشريع فالجهل بعلوم الكون صنعة الله محصية يقع فيها كثير من الناس.

2. كما أننا نلمس توجهها تكليفيا في نزول القرآن الكريم على رسوله صلى الله عليه وسلم حين قال "اقرأ" ثم قال "اقرأ" بأسماء ربي الذي خلق {1/96} {خلق الإنسان من علق} {2/96} {اقرأ وربك الأكرم} {3/96} الذي علّم بالقلم {4/96} {علّم الإنسان ما لم يعلم} ¹². ونلاحظ أن كلمة (الذي خلق) فيها ربط الكون بخالقه "والعلق" هو الدم المجاهد الذي خلق منه الإنسان فالدرية بطبيعة خلق الإنسان وتكوينه عبادة مكلف بها المرء.

3. يقول القرآن الكريم "وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" ¹³ بل إن سورة الذاريات فيها عن التفكير في آيات الكون الكثير، ثم في الآية (21) يطلب التفكير في الإنسان صورته ظاهرة وإعماقه.

4. في قوله تعالى (ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ) نجد أنه كلمة (ثم) في اللغة العربية وهي حرف عطف يفيد انقضاء مدة كافية للتعليم، ومعنى هذا أن التعلم ليس معرفة عابرة بل هو جهد يلزم الانسان.

القرآن وعلوم الكون

ناقش القرآن الكريم الملحدين والمنكرين وأرسى القرآن الكريم القواعد الأولى لمعرفة الكون... فنراه يبين "وَاللَّيْلُ إِذَا يَغُشَىٰ، وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ" ¹⁴... ثم نقل التعليم القرآني إلى آية أخرى "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذُكَّرُونَ، اللَّهُ قَيَّامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ، فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" ¹⁵

فكانت الدعوة إلى التفكير في خلق السماوات وعلومها والأفلاك والنجوم، والأرض وعلومها الجيولوجية وعلوم الزراعة والمعادن والمياه الجوفية وغير ذلك من دعائم التفكير ولوازم الإيمان... وقد قال عليه الصلاة والسلام في حق هذه الآية "ويل لمن سمعها ولم يفكر فيها". وكذلك نزلت آية "فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسْرٌ لَّا تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ" ¹⁶. وفي الأرض قطع متجاورات وأية النجوم ترتبط بالسماء وحركة النجوم، وهو علم قائم بذاته، والغريب أن الأوائل استخدموا النجوم علامات يسيرون عليها قال تعالى "وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ" ¹⁷ فعلم الفلك والحسابات الفلكية أمر مطلوب لذاته لأنه بعد ذلك سوف يستخدم في حسابات السنين والأهلة وحركة سير السفن في البحار وقوافل التجارة في الصحراء، ثم بعد ذلك في العلم الحديث الصعود للقمر وحرب الأقمار الصناعية بين الدول العظمى والكبرى.

وأية سورة الرعد تبرز آيات الله في خلقه حيث يضع في الأرض قطع متجاورات... صحرائية وطينية ورملية وغيرهم... والماء الذي يسقون به الزراعات واحد ولكن الثمار والزرع مختلفة الوان والطعم فهناك التين والاعتاب، والتمر والبصل والثوم ألوان ومذاقات مختلفة تستلزم البحث في أنواع الأرض وكشف خباياها.

والمسلم... الذي بصدد التعليم الديني لا يصح مطلقاً أن ينفصل عن العلوم الكونية فهي نزلت من عند الله عز وجل كما نزلت آيات المواريث سواء بسواء... فالله الذي أنزل قوله تعالى "وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلاً" ¹⁸ هو ذاته جل شأنه الذي قال "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ" ¹⁹.

مع ملاحظة أن العبادات لديننا نحن المسلمين قد ارتبطت بالكون... "أقم الصلاة ل...".

وكذلك ارتبط صيام رمضان بصحيح روية الهلال. ومواعيد الصلاة كانت وفق حركة الشمس والقمر ليلاً، والحج وفق أشهر معلومات وتحديد الأيام وفق حسابات - المفروض أنها دقيقة. ولهذا نجد أن علوم الكون والعبادات الشرعية تداخلت وارتبطت بعضها في بعض.

ومن هذه الوجهة تم تحديد مفهوم الحضارة، فليست الحضارة التي يجب أن نتعلم مفرداتها هي الجانب العبادي أو الروحي وإنما هي مزيج من الجانب الروحي والمادي على السواء. ²⁰ والتي نلاحظ فيها ما سبق من الآيات.

الرؤية الإسلامية للعلم

التكليف بالمسؤولية أمر عظيم ليس لأي كائن غير الإنسان يقول الله عزوجل " إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا " ولذلك كان التعليم في الرؤية الإسلامية خاص بالقلم والقراءة... فالقراءة لدينا نحن المسلمين هي بداية المعرفة والعلم، والعلم هو مفتاح الحضارة... والقلم لفظ العلم وصيانتها من الضياع لتستفيد منه الأجيال ويدركه العقل الإنساني.²¹

وفي اللغة العربية أن الفكرة تفيد العموم والشمول. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله به طريقاً من طرق الجنة. فإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء".²²

وبمناسبة ذكر الأنبياء... فإن الملاحظ أن كل نبي جاء برسالته وبلاغه للناس كان يأتي بمعجزة لها علاقة بالعلوم التطبيقية، إن نوحاً عليه السلام صنع السفينة قاله تعالى " وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا"²³

فإن الله عزوجل شأنه قد أوحى لنبيه (نوحاً) بالصناعة فليس الوحي فقط ينزل بالفقه والعبادات والتفسيرات (علوم الشرعية) بل أيضاً بالعلوم التطبيقية... وكذلك في قصة داود عليه السلام... يقول القرآن عنها " وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا

جِبَالُ أَوِي بِعَهْدِ اللَّهِ وَالظَّيْرِ وَآتَيْنَاهُ الْحَدِيدَ. أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"²⁴

وبالنظر إلى ما أتاه الله جل شأنه لداود فإنه جاء ومعه أمر إلهي بصناعة الدروع على الصدور من الحديد وأن يحسن

الصناعة بتضييق الفوارق بين حلقات الدروع حتى لا ينفذ منها السيف فيقتل المجاهد. وهذا أمر إلهي يحسن الصناعة.

وجاءت كذلك معجزة عيسى في علاجه للأمراض المستعصية الصعبة التي انتشرت في عهده عليه السلام "وابرئ الأكمه والأبرص... فعلم الطب كان معروفاً آنذاك عند الرومان ولم يكن لهذه الأمراض شفاء يذكر...

والشاهد أن العلم الشرعي والتطبيقي الكوني هو في الأصل ضمن العلم الشرعي شريطة أن الذي يخوض فيه يتعلمه الله، وبنية معرفة الله ونصرته والتفوق على غير المسلمين حتى لا يتسول المسلم من غير المسلمين ويلتمس علاجه وطعامه وملبسه بل وعلمه عند الآخرين.

أحاديث نبوية في طلب العلم:

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلاً والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوها منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به"²⁵

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع"²⁶. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم إذا مات ابن آدم انقطع عمله

إلا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" ²⁷. وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم "من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع" ²⁸. وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "طلب العلم فريضة على كل مسلم" وفي رواية (ومسلمة) ²⁹ وذكر المنذري في الترهيب والترغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "إن فضل طلب العلم، خير من فضل العبادة وخير دينكم الورع" ³⁰

وبالنظر في الحديث الأول نلمس التفرقة بين كلمة (الهدى) وكلمة (العلم) في قوله صلى الله عليه وسلم (مثل منا بعثني الله به من الهدى والعلم... ليتبين أن هناك علم بخلاف الهدى. ولعل في ذلك فهم لطبيعة العلم الذي عرفناه من رب العالمين

الحضارة الإسلامية:

إهتم الإسلامي بالتعليم ولم يفرق المسلمون الأوائل بين العلوم ولم نسمع عن هذا التقسيم العجيب الذي فرق الفكرة الإسلامية وجعلها شطرين، الشطر الأول علوم شرعية والشطر الثاني تطبيقية.. وتفرد عدد كبير من المشتغلين بالعلم الشرعي في قصر الثواب على أساتذة الفقه والتفسير والحديث واللغة العربية والقرآن فحسب" ولم يهتموا مطلقا بعلم الكون التطبيقي الذي به يقاس معيار القوة بين الدول. فحين قال ربنا عز وجل "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَابِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" ³¹ فكيف يكون الإعداد لملاقاة العدو، وكيف يكون الاستعداد له؟ إنه الاجابة على هذا السؤال تعنى الحضارة بمفهومها الأشمل والأعم.

والحضارة الإسلامية سارت مزدوجة تسير بطريقتين في آن واحد، الجانب الروحي الإنساني، والجانب العلمي.. ولقد فتح المسلمون معاهد التعليم في أوروبا وقبلها في بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية الشرعية، وكانت بلاد أوروبا ترسل أبناءها لحضور جلسات العلم الحرة، والالتحاق، بجامعات المسلمين في قرطبة وإشبيلية وغرناطة وغيرهم من بلاد الحضارة الإسلامية الإنسانية العملية الراقية. ³²

ونشير إلى أن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ بما يقرب من سبعين سنة قد بلغ المحيط الأطلسي وشرقا إلى المحيط الهندي، ومخطئي من يظن أن العرب المسلمين قد حكموا تلك المناطق سياسيا بل أحدثوا متغيرا مؤثرا في العلوم والفكر والتعليم ويمكن أن نلاحظ أن دعامة الحضارة الإسلامية ونظام التعليم قد بدأ على دعامين أساسيين...

أ. اللغة العربية ب: الديانة الإسلامية

فاللغة العربية: أجمع العلماء على أن اللغة العربية هي الأوسع في حصيلة الكلمات والتعبيرات القادرة على إبراز مفردات الحضارة الإسلامية باتساع نطاق بلاغتها وحصيلة كلماتها. وأما الديانة الإسلامية: فإنه تأسيس على احترام العقل وتنمية الوجدان وخاصة أن له فلسفة متفردة بعيدة عن الاحاد والاشراق. ³³

لكن تبقى قضية ذكر أشهر علماء العلوم التجريبية أولئك الذين اشتهروا في الآفاق عبر التاريخ. وفهم محمد بن موسى الخوارزمي ت 222/هـ 846م وهو من أشهر علماء الفلك، الكندي ت 252/هـ 866م، ولاذني عمل الأسطرلاب وأدرك خط

نصف النهار وسمت القبلية. ومنهم أبو معشر البلخي 272/886م، الدينوري ت 282/895م، وغيرهم³⁴. ويأتي الخوارزمي مرة أخرى ضمن علماء الرياضيات، وبرع كذلك جابر بن حيان وابن باجه، وهناك ابن سينا في الطب، وابن النفيس الذي اكتشف الدورة الدموية وكان من العلماء غيرهم كثير. ومنهم عباس بن فرناس الرجل الذي وضع قواعد الطيران وأجرى بنفسه تجربة عملية، والشاهد بعد ذلك أن الحضارة الإسلامية قد استخدمت في ميدان التعليم العلم الشرعي من فقه وتفسير ونحوه، والعلم التطبيقي العملي... والأول والثاني معاً هو لأجل صيانة الإنسان وحفظ الإسلام والدفاع عنه.³⁵

التعليم والدعوة صنوان.

لم يفصل النبي ﷺ بين العلم والدعوة، فالدعوة عند المسلمين علم، والعلم عندهم دعوة.. فليس الجهول مكلفاً بالدعوة ولا بالعلم. ولا ينتظر منه بناءً حضارياً أو تعليمياً تربوياً. لذلك أزعمر أنه لن تتجح دعوة للإسلام بينها وبين العلم جفوة وخصومة، فإن كل ذلك محل الفشل حين تحدث خصومة بين العلم والدين.³⁶

المؤسسة التعليمية التربوية الأولى:

في السيرة النبوية مواقف تعليمية قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه مع المجتمع الفرشي منها ما هو فردي ومنها ما هو جماعي، وكلاهما مطلوبة في نجاح العملية التعليمية. ولكن الرسول ﷺ أسس أول مدرسة في دار الأرقم بن أبي الأرقم وهو صبي يتعد المشركون أن النبي ﷺ قد جمع الصحابة فيه، فالأرقم حدث السن.

وبداية التفكير فيه... أن جماعة من المسلمين قد صلوا بالقرب من الكعبة، وكان من بينهم الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص وتكتل عليهم المشركون حتى تعمدوا الارتكاب الإيذاء إلا أن سعد بن أبي وقاص قد شج رأس رجل منهم.³⁷

فأثر النبي ﷺ بعدها أن يخصص للمسلمين مكان تعليم وتربية مناسب بعيداً عن أي احتكاك من شأن تحقيق العداء. وفي دار الأرقم أول مؤسسة تعليمية في الإسلام. كان يتنزل الوحي والنبي ﷺ يبين للصحابة ما هو مقصود الله من الناس ويتربون لحظة بلحظة مع نزول القرآن، وأصبح الجمعة الأول من هؤلاء الصحابة طلاب العلم الحقيقي هم قرعة عين النبي ﷺ، ونزل فيهم قوله تعالى "وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَيَدْخُلُونَ"³⁸

وقد نجح التعليم والتربية التي حصل عليها الأوائل لعدة أسباب منها...

أ. أن الصحابة أصحاب قلوب نقية طاهرة خالية من حب الشهرة واحراز المناصب الدنيوية بالعلم الحق أو المزور كما يحدث اليوم من تكالب البعض على المناصب العلمية ولو على حساب القيم والمبادئ والأعراف. لذلك كانوا يتقبلون كل ما يأتي به النبي ﷺ والهدى.³⁹

ب. معايشة الصحابة لنزول الوحي لحظة بلحظة وجوارهم للرسول فكانوا أعلم الناس بأظروف والملابس التي نزل فيها النص القرآني وفتحوا حقيقة الدين دور إدخال بدء إشراكية من أوثان الفكر الجاهلي، ولا نقصوا منه شيئاً لأنه لا يناسبهم أو يناسب ظروفهم، فقد صانوا الدين كما أنزل.

ت. كل النصوص سواء القرآنية أو النبوية كانت تنزل معظمها فيهم، فكان القرآن يخاطبهم خطاباً مباشراً، وإذا حدثت واقعة رأوا بأنفسهم رأى القرآن فيها فشحروا باليقين أن الله معهم ورأوا الاستجابة السريعة لمواقفهم وكان هذا الدرس العملي الواقعي، خير دليل تربوي لا سيما أنه زحف القلوب النقية فتمكن منها.

ث. وهنا تبدو ملاحظات على العملية التعليمية التربوية التي عاشوها والتي وضعت هي الأخرى ضوابط للنجاح منها.

أولاً: حرص المتعلم على التعليم والتأدب في حضرة العلم.

ثانياً: نية المعلم، وصدقه مع الله بصدق بشأن توصيل المعلومة بحيث تخرج من القلب لتسكن القلب.

ثالثاً: التعليم والدعوة بهدف أخروي يركز على نشر الإسلام بالحسنى وتلمس العمل الصالح، وليس بهدف دنيوي كالحصول على شهادة علمية دون السعي الأدنى لنشر الدين الصحيح وليس دين الأهواء الشخصية أو المذاهب الفيقية.

والحق أن دار الأرقم بن أبي الأرقم أعظم مدرسة للتربية والتعليم عرفتها البشرية، كيف لا وأستاذها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم أستاذ البشرية كلها، وتلاميذها هم الدعاة والهداة والقادة الربانيون، الذين حرروا البشرية من رق العبودية وأخرجوهم من الظلمات إلى النور، بعد أن رباهم الله تعالى على عينه تربية غير مسبوقه ولا ملحوقه.⁴⁰

وكان الملاحظ أن صلى الله عليه وسلم قد أحسن اختيار العناصر التي انضمت إلى هذه المؤسسة التعليمية ففيها تخرج أفاضال الرجال للدعوة، والعلم و دانت لهم الجزيرة العربية بأكملها ولم تكن المدرسة الأولى في دار الأرقم مدرسة للدين فحسب بل كانت جسراً يعبر بطلابه إلى جنة الخلد وملك لا يبلى فتربوا فيها على السمع والطاعة والعزيمة والإصرار والتحمل والتهذيب.. لقد كان الرجل منهم الجاهلية يرتكب الأعمال الطائشة التي تغرس العداوات وتحقق الخلافات... ولا نجد إن قلنا أن المجتمع الجاهلي كان يتكون من مجموعة من الأجلاف أصحاب الطباع السيئة الخسنة، وليس هناك تهذبات تربوية من هنا أو هناك، ولكن عندما تخيرهم رسول الله ﷺ كان أول ذي بدء هو تهذيب الطباع... فليس هناك أصحاب أصوات عالية في حضرة الرسول، وليس هناك حوار معه إلا بأدب ولقب سابق... ولعل الله عز وجل قال "مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ..."⁴¹ وقال مسبقاً " ... لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ"⁴² وكذلك تعلموا " إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ"⁴³ وكذلك الصبر والجلد والتحمل والتضحية... كانت تمر بهم الأحداث ويلتقون مجدون القرآن يوجه فيها وقد يثنى عليهم وعلى عمق وصدق إيمانهم⁴⁴

أما المادة الدراسية فهي سهلة المعرفة والدراية... فإن القرآن الذي نزل بمكة كان يركز على ما يلي...

1. تصحيح العقيدة والرد على المشركين والدهريين والمنكرين وغيرهم مستخدماً المنطق العقلي في الإقناع.
2. اثبات الكون لله عز وجل ثم التحدث بالآيات الكونية التي تثبت قدرة الله تعالى، وتفتح مدارك العقل وتنظم سبل التفكير العلمي المنظم، الداعم للعقل المستدعي للتفكير والتعقل.⁴⁵
3. إثبات البعث والنشور والموت والحياة لله عز وجل وإثبات الحساب والعقاب والجنة والنار.

4. تعليم التاريخ والعبرة منه، وذكر تاريخ الأمر السابقة قبل الإسلام، وذكر تاريخ الأنبياء السابقين ذكراً تاريخياً داعماً للحقيقة مقوياً لها... وكان منه العبرة والتدريب على الصبر والتحمل والجهاد الداعم للنصرة... وكل ذلك من تربيوات وتعليمات القرآن.
5. فقه المواقع الذي يحيون فيه فإن هذا وحدة من فقه الأولويات الذي يجهله معظم المسلمين، والفقه الحقيقي يستلزم العمل وليس السماء فحسب.
6. تفهموا في دار الأرقم خاصة عند نزول القرآن من هم الفرس والرومان أعداءهم المرتقبون، وتسمعوا عن المواقع من حولهم وكيف تنتشر المظالم في هذا البلاء.
7. كان هناك قسط من المعلومات السياسية اكتسبوها من معرفة الأمر التي ظلمت مثل عاد وثمود والفرعان وغيرهم كذلك أكتسبوا مفهوم العدل من تلك القصص.
8. أدركوا في تعليمهم معنى الرحمة والرفق بالأخوة، وتفهموا قوله تعالى "إنما المؤمنون أخوة"⁴⁶. وقد ظهر ذلك في التسامح وتحرير العبيد ونحو ذلك.
9. هذا فضلاً عن تفهم العبادة في الظروف الحالكة وفي ظل نظام يجارب ظهور الإسلام، ويمنع انتشار مبادئه وزيوع أخباره.

أثر التعليم في اختيار دار الأرقم:

- لم يكن اختيار دار الأرقم اختياراً عشوائياً بل إن الاختيار نفسه من وسائل التعليم... وقد تبدو ملامح الاختيار فيما يلي:
1. الأرقم لم يعرف عنه الإسلام، ومن ثم لم يدر بجلد أحد أن محمداً وأصحابه جعلوا من هذا المكان خلية تعليمية وتربوية ناجحة.
 2. أن لأرقم من بني مخزوم، وقبيلة بني مخزوم تناصب لواء التنافس بينها وبين بني هاشم، ولا يمكن لأحد أن يتخيل أن النبي أسس مدرسته الأولى بين ربوع أعداءه من بني مخزوم.
 3. الأرقم بلغ السادسة عشر من عمره، ولا يخال لأحد أنه على علاقة بشخص النبي عليه الصلاة والسلام.⁴⁷
 - إن الحاصل في الأذهان أن تجمع الصحابة للتعليم قد يكون في بيت أبي بكر من قريش لتحمي قريش نبيها، أو يكون عند عثمان بن عفان من بني أمية... لكن هذا الاختيار حالفه التوفيق، فخلق مناخاً متوافقاً مع المرحلة الجديدة. ونستطيع أن نعرف نتائج هذا التعليم الأول... فقد تعلموا المزج بين المعلومة والإيمان بالله تعالى.⁴⁸
 - قام الرسول المعلم المرابي بتأهيل كل صحابي حسب مواهبه وقدراته ومن ثم التأهيل للمرحلة القادمة لتحمل الأعباء.⁴⁹
 - ويمكن كذلك استبيان روح جديدة لم تكن موجودة من قبل وهي روح الجماعة الواحدة.
 - ومن صفات الحاضرين أنهم كانوا مزجاً من الكبراء والضعفاء ومن طبيعة العملية التعليمية أن الطالب يسأل كثيراً

متى كان يريد المعرفة، ولما كثرت أسئلة الصحابة البسطاء والعبيد الذين أسلموا وتحرروا وابتدعوا فيه قوله تعالى مخاطباً النبي "وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْتَ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا"⁵⁰ وهنا تظهر معالم التعليم التي وضعها القرآن الكريم بعرض هذا الموقف

1. على المعلم أن يصبر على الدارسين خاصة المخلصين الذين يريدون وجه الله بتعلمهم ويبحثون عن الحق.
2. أن الدارسين كانوا يكثرون السؤال وينظرون الإجابة وقد يكون بعضهم مازال يحمل بعضاً من صفات الجاهلية وإزالتها تحتاج للصبر من المعلم.
3. أن هؤلاء الطلاب تحلوا بالدعاء والتقرب إلى الله وهي من شروط التعليم قال تعالى "واتقوا الله ويعلمكم الله"⁵¹ وهذا الإخلاص والإحاح بالدعاء تبرزه الآية "... يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ..." فالإخلاص ركن من أركان قبول الأعمال.
4. "ولا تعد عينك عنهم..." تريد أن نضع الطلاب تحت الرعاية المركزة بشتى الوسائل.

قضايا معاصرة

جرنا موضوع التعليم هذا إلى قضية الفئة التي تتلقى العلم والمعرفة فهناك قول يؤثر عن منعه تعلم السفهاء العلم. والحقيقة أن سلوكيات بعض الطلاب لا تتناسب مع نبل الرسالة التعليمية، ويلاحظ الآن أن هناك في إدارات المؤسسات التعليمية مسؤولون لا يحسنون التعامل مع الطلاب، وربما استخدموهم في وسائل تحريضية لا تليق... فإن أحد المسؤولين كان يضع الجواسيس من الطلاب كي يسترقوا السمع ويتقلون ما يضر.. وكان هذا الرجل يطمع في البقاء على مقعد الرياسة.. وهؤلاء الطلاب وأمثالهم هم ضحايا لمثل هذا الرجل... الأمر الذي يجعل المعلم لا يقف على أرض ثابتة. وفي ذلك يتحقق رأى أي حامد الغزالي⁵² "مثل هذا الكرام.. وذكر قوله تعالى "وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا"⁵³

وقال (أبو حامد) إن حفظ العلم ممن يفسره ويضره أولى من حفظ المال.. وجاء في أدب الدنيا والدين⁵⁴ أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "لا تمنعوا العلم أهله فتظلموا، ولا تضعوه في غير أهله فتأثموا". ومما يؤسف أن العلم قد بعد كثيرا عن الغرض الذي أرادته الإسلام وأمر به الله، وحث عليه الرسول ﷺ. وحين يقول رب العالمين "إِنَّمَا يُخَشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"⁵⁵ فإنه يريد ويؤكد جل شأنه أن العالم الحقيقي هو الذي يخشى الله بحق، وليس من يتاجر باسم الدين، أو يسعى لمنصب يتقلده!! ومن المفترض أن تكون لدينا هيئات تتقى الله وتتخير أولئك الذين يريدون دراسة هذا الدين ويحملون لواءه.

لمحة جولد منهج دار الأرقم

لم يكن دار الأرقم مؤسسة تعليمية تربوية عابرة انطلق منها الرجال المخلصين من هنا أو هناك فالمؤرخون⁵⁶ يرون أن هذه المؤسسة التي كونت الجماعة الإسلامية الأولى في مكة، وهذه النواة ظلت على طول القرن الهجري الأول عماد الدعوة وقيادتها الدينية، ومما يؤسف أن المؤرخين يرون التاريخ الخاص بالانتصارات خاصة التي حدثت بعد الهجرة إلى المدينة من غزوات الرسول في بدر و احد وغيرهما ولم يلفتوا إلى فضل التعليم الأول الذي جمع معه التربية السليمة من حب

التضحية ونصرة هذا الدين جعلوه الدم والعظم بالنسبة للانسان.⁵⁷ فالذين تركوا الأموال والأولاد والمستقبل واشتروا الدين وحافظوا عليه لم يكن ذلك من حماس موقف ثم ينفذ بل كان من جراء منهج تربوي تعليمي نابغ من القلب وذهب للقلب. وهناك نموذج يوضح التغيير الذي طرأ على الصحابة رضوان الله عليهم، فحين أعلن عمر بن الخطاب إسلامه... ذهب إلى دار الأرقم وطرق الباب فلم يفتح له أحد... إلا أن الرسول ﷺ قام إليه وفتح وجذبه من مجمع ثيابه وتساءل مستنكرا: أما آت لك يا ابن الخطاب؟! فأعلن عمر الشهادتين أمامه ودخل الإسلام، فكبر كل من بالدار تكبيرة بلغت المسامع...⁵⁸ فقد كانوا في بأس مختلف عما تربوا عليه.

ومن اللمحات المهمة أن مؤسسة دار الأرقم قد قضت بصورة كبيرة على التعصب القبلي بل كان كل طالب علم من هؤلاء الصحابة من قبيلة مختلفة. يعود فينشر العلم في قبيلته.. وهذا التقارب القبلي كان طريقا نحو طرح القوميات أرضا، وطرح التعصب لها.. فمثلا.

كان أبو بكر من (تيم) وعثمان ابن عفان (بني أمية) والزبير بن العوام (بني أسد) ومصعب بن عمير (بني عبد الدار) وعلى ابن أبي طالب (بني هاشم)، وعبد الرحمن بن عوف من (بني زهرة)، وسعيد بن زيد من (بني عدي) وعثمان بن مظعون من (بني جُمح) وعبد الله بن مسعود (هذيل) وعتبة بن عزوان (مازن).. وغيرهم كثير جدا.⁵⁹

لقاءات تعليمية أخرى

يرى بعض المؤرخين⁶⁰ أن هناك لقاء علميا آخر تلقى فيه المسلمون الأوائل التعليم الأول وذلك في السنة الأولى وقد اجتمع حوالي (خمسون أو ستون) رجلا وامرأة من أهل مكة.. يقول "عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فبينما نحن عنده (عند النبي) على حراء إذ نزلت عليه سورة المرسلات... ولا أدري بأي الآيتين ختمه (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّكُفُوا لَا يَرْكُفُوا) أو (فِي أَيِّ حَيْدٍ تَبْعُدُهُ يُؤْمِنُونَ...)

وهذه الرواية تبين الحالة التي كانت عليها المسلمون الأوائل حيث كان النبي ﷺ يلتقي بهم في حراء الجبل الذي نزل في غاره الوحي المقدس. وهذا هو اللقاء التعليمي الأول حيث بدأه النبي ﷺ مبكرا أثناء مهبط الوحي وفي المكان المقدس الذي كان فيه ونزل عليه⁶¹. "يقول ابن مسعود: فبينما نحن نيام على حراء أو على الجبل، فما نبهنا إلا صوت النبي ﷺ يقول: منعها منكم الذي منعكم منها! قلت يا رسول الله وما ذلك؟ قال حية خرجت من ناحية الجبل⁶². وهذه الصورة تؤكد لنا أيضا هيكل الحياة التي عاشتها الجماعة الإسلامية الأولى خلال فترة ميلاد الأمة الإسلامية قبل دخول دار الأرقم.⁶³

وهناك جلسة تعليمية أخرى حيث الكعبة المشرفة حين يجتمع الناس حول الكعبة يتسامرون ويتحدثون وكان في البدء هناك صلاتان الفجر والليل "عسق الليل" وكان المشركون يمتلئون ضيقا وحقدا حين يرون محمدا عليه الصلاة والسلام بين أصحابه في ركن من أركانه المسجد فإذا جاء المغرب قاموا للصلاة واصطفوا حول الرسول وصلى بهم.. ومع ضيق المشركين كان البعض منهم يسخر ويقلد أقوال النبي ﷺ سخرية بتقليد مشوه.⁶⁴

وقد لا نطيل أكثر من ذلك المهمل الذي يلفت نظر في المؤسسة التعليمية الأولى أو لقاء جبل حراء أن هناك في الجلسة مكانا للمرأة المسلمة تجلس فيه مع الرجال كما تؤكد رواية ابن مسعود.

المرأة في التعليم الأول

زج بنا العلمانيون في معارك كثيرة كاد الإسلاميون أن ينهزموا فيها، لولا أن عندنا أصول نرجع إليها هي كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه، وسنة النبي عليه الصلاة والسلام، الصحيحة المروية بالتواتر وحفظها المخلصون إلى يوم الناس هذا.

ومن هذه القضايا أننا نحن المسلمين متهمون باضطهاد المرأة وبأننا لا نرى مستقبلا لها في التعليم وكل ما يهمننا نحن أن نزج ببناتنا إلى من لا يرغب الزواج منه لتكسب عرضا من الدنيا قليل... ولسان حال المسلمين لا يبرح امرأين:

1. أما التخلص من مسؤولية تربية البنات.

2. وأما التكسب من وراء تزويجها عرضا ماليا دنيوياً.

وسواء أكان هذا أو ذلك تولد عندنا نحن المسلمين شعورا بعدم جدوى تعليم الفتاة إلى أعلى الدرجات، وتجلس في البيت تنتظر قضائين أما زوجها وإما موتها!! ومثل هذه الأسر ترى عدم جدوى أي روية تصرف على البنت التي تنتهج التعليم... إن الجاهلية اعتبرت المرأة عورة. يجب التخلص منها، وهل ما نقوم به الآن يفرق كثيرا عما كان في الجاهلية؟!

لنأخذ مثلا بالسيدة الشفاء بنت عبدالله بن شمس القرشية (20هـ/640م) كان ثمرة من ثمرات تحرير المرأة الأولى والتي أسرعت بالدخول في الإسلام وبايعت بصدق.. وتميزت بالعقل والرأى والحكمة... واشتغلت بتعليم القراءة والكتابة حتى أعلمت السيدة حفصة أم المؤمنين، كما روت أجدائث الرسول وكانت تحاور النبي ﷺ، وأحياناً تلومه وقد روى أن النبي ﷺ اعتذر لها، وبلغت بعلمها وحكمتها أنها شاركت في السلطة والدولة وقد ولأما عمر بن الخطاب ولاية الحسبة ومسؤولية الأوزان ومعاملاتها ومراقبة الأسواق بجزم ولها حق توقيع العقوبات المستحقة.⁶⁵

وهذا النموذج منه مئات من النساء والمسلمات، ولا نعرف من أين يأتي البعض بتلك القيود التي أخرجت بالمرأة المسلمة.

ويروي ابن اسحاق وابن هشام⁶⁶ أن عمر بن الخطاب حين أسلم ذهب إلى دار الأرقم فلما فتحوا له ليلقى رسول الله عليه الصلاة والسلام كان رسول الله جالسا في دار الأرقم بين جمع من الرجال والنساء. الأمر الذي يفيد أنه تعليم دار الأرقم لم يكن للرجال فحسب.⁶⁷

وقد أكد على تعليم النساء كل من أصحاب كتاب الاستيعاب والأصابة، وكذا ابن القيم في الهدى، وذكره الأردبيلي في الأزهار شرح المصايح.

وقد سئل يوما أحد الفقهاء في دمشق: هل يجوز أن يتعلم النساء الكتابة فأجابته لا يجوز تعليمهن الكتابة قال الحافظ برهان الدين الحلبي: أن هذا الفقيه لم يلتفت إلى حديث الشفاء. التي علمت السيدة حفصة.⁶⁸ وقد أكد ابن تيمية على تعليم

النساء شارحا حديث الشفا هذا وقال الشوكاني في نيل الأوطار لا صحة لمنع المرأة من التعليم وفي فتاوى ابن حجر الهيتمي الشافعي... أنه من ارتكن لمنع المرأة من التعليم استناد الرأي هنا وهناك فكل ما ورد في منع المرأة من التعليم لا يصح أو ضعيف.⁶⁹ وقد ذكر القلقشندي⁷⁰ أن جماعة من النساء كن يكتبن ولهن علم، ولم ينكر عليهن السلف وصحابة الرسول الكبار، وضرب مثلا بأن السيدة عائشة كانت تكتب. وترجم البخاري لعدد من الصحابيات الكبار اللواتي تعلمن في مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومواعيد اللقاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى أن امرأة قالت للنبي ﷺ أنك تجلس مع أصحابك فاجعل لنا يوما نسألك فيه.. وحضر الرسول ﷺ يوما مع النساء وكان يعظمني ويلقي عليهن درس التعليم فدخل عمر بن الخطاب فأصابهن الخوف منه وابتدرن الحجارة فضحك النبي ﷺ...⁷¹

وقد ثبت أن المرأة المجادلة التي حاكت النبي وقد نزل فيها قوله تعالى " قَدْ سَعَى اللَّهُ قَوْلَ النَّبِيِّ نُجَادِكَ فِي رَوْحِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ"⁷²

وقد أورد (الكتاني) في التراتيب الإدارية⁷³ اتخاذ الديار أماكن للتعليم للرجال والنساء على السواء.

وذكر كذلك فيما نقله عن كتاب المدهش لابن الجوزي عددا من الرجال والنساء قاموا بالأفتاء في عهد الرسول وبعده⁷⁴ وقد كانت الصحابيات يشهدن الصلوات بالمسجد (النبي) مع رسول الله) وقد خصص لهن باباً يدخلن منه خصيصاً أسماء باب النساء وهو يحمل هذا الاسم إلى الآن، الأمر الذي يفيد حضور المرأة للتعليم على مستوى دار الأرقم، وفيما بعد للمسجد النبوي، وكان باب النساء قبل هذه التسمية تتزاحم عليه الرجال والنساء فلما وجد النبي ﷺ أن الرجال يزاحمون النساء، قال: هلا جعلتم هذا الباب للنساء⁷⁵ وكما ذكرنا بقي إلى الساعة حتى الآن يطلق عليه باب النساء.

ولقد كانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الرجل والمرأة يتلقوا التعليم بلا قيود ولا موانع. قال عليه الصلاة والسلام " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " كذلك ومما يؤسف له أن هناك فريقا يمنعه المرأة من الصلاة في المسجد رغم قول الرسول ﷺ " لا تمنعوا إماء الله أن يصلين في المسجد "⁷⁶ ومع هذا نلمس معارضة نفسية ويرى البعض⁷⁷ أن خروج النساء قد يزيد من ارتكاب المعاصي والحرمان، ويجري على الأمة الفساد، وأن تعلم المرأة يعلمها ما يدعوها للفساد..

والحاصل أن عددا من الرجال يرتكبون المعاصي مثلهم قبل النساء، فالخوف ليس من المرأة بقدر ما هو من الرجال. وإذا كان هناك من يستغل التعليم في تحويل النية إلى سوء فإن ذلك لا يعني أن نلغي التعليم! ولكن الذي يضبط هي النية.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من تعلم علماً من يباري به العلماء ويماري به السفهاء أجزه يوم القيامة بلجام من نار"⁷⁸

قضية التعليم النسائي المعاصرة

لابد وأن يتفهم المجتمع المسلم في بلادنا أهمية تعليم المرأة، والذي نؤكد أنه إن لم نعلم الفتيات المسلمات تعليماً جيداً متقناً، فإن لم نتعلم المرأة المسلمة وتقف على مسؤولية بناء الحضارة، فسوف تأتي نساء غير مسلمات يقمن الحضارة وفق

عقدتهم أيا كانت هذه العقيدة.

والمرء والله ليت عجب من هؤلاء الذين يمنعون المرأة من التعليم، أو تكملة تعليمها، وعندما تمرض منهم النساء يبحثون عن طيبة تعالج الزوجات والبنات!! أليس هذا من الحمق؟! والقائمون على الإسلام والدول إن لم يفسحوا المجال لتكوين امرأة مسلمة صالحة متعلمة فإن غير المسلمات حتما سيتقلدن من المناصب، حتى وإن كن غير مسلمات فسوف يكن مسلمات علمانيات يكرهن الدين وتكاليفه.

إن المجتمع المعاصر الآن في حاجة إلى تعليم فئات متميزة من النساء يخدمن دينهن بإخلاص.

ومن باب الإمانة فإن الحديث الذي يمنعه النساء من تعلم الكتابة حديث مكذوب.. وعلى الرجال والنساء معا أن يزدادوا علما ولا يشبعوا من فنون الثقافات التي تتاح لهم، والمرويات التي تنتقل إلينا تحتاج إلى تمحيص.. وفي الساحة قوم لا يفقهون فقه الأولويات ولا يقفون على الصحيح من السقيم.⁷⁹

تعليم المرأة يقوي الوعي والادراك.

لا شك أن تعليم المرأة المسلمة وادراكها للواقع من حولها بل وتفهيم المصير والحاضر وتستطيع أن تفسر الماضي.. والنساء اللواتي تعلمن الإسلام ولم يستطعن الهجرة قد تعرضوا للإيذاء سواء بسواء مثل الرجال تماما لقد فتنت المرأة في دينها كما فتنت الرجال. وأخرجت المرأة من ديارها كما أخرج الرجال، ولذلك أذن الله للجميع بالقتال، وكتبه على الجميع. مع تمييز إسهامات كل النوعين في هذا الميدان من ميادين العمل العام.⁸⁰

ولذلك كان له دور رئيسي في الهجرة، فضلا عن خطاب التعليم الديني الذي نزل في القرآن الكريم لكن تفهم المرأة طبيعتها وليس أنها تتوقع وتدفن حية.. لقد نزل القرآن بواقعة موسى عليه السلام حين التقى بالمرأتين عند واد مدين "وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نُسْقِيكَ حَتَّىٰ يُصَدِّرَ الرَّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ"⁸¹ لكي تفهم المرأة أن العلم جائز، وقد يكون ضروريا إذا احتاجت إليه كما بينت الآية.

ثم يذكر القرآن بعد ذلك موقف موسى عليه السلام "فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ. فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ"⁸²

وذلك لدعم مسألة مفاوضة المرأة، وأن كلمة زوجها بالرفض أو القبول معتبرة وأن ولي أمرها قد قدر رغبتها واحترمها.⁸³ كما تعلمت المرأة من سورة سبأ أن بلقيس قد حكمت ثم آمنت بالله وانضمت لسليمان عليه السلام فكان إيدانا بجواز عمل المرأة في السياسة ما دامت تحي بعلمها الإسلام.⁸⁴

امتناع النبي عن رد المهاجرات

هناك مجموعة كبيرة من النساء المتعلمات العارفات بدينهن والمستضعفات وجدن أن مناخ الكفر لا يناسب في

التعليم الذي يبني الحضارة والذي يدعم الإسلام لذلك قرر ر. الهجرة بدينهن للمدينة (من مكة إلى المدينة) من دار الكفر وقتنذ إلى دار الإيمان وعلى رأس جمع النساء (ام كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط) وهي امرأة تقرأ وتكتب وحافظة لدينها، وقد اعترض المشركون على هجرتها لأن ذلك جاء بعد صلح الحديبية، فأنزل الله قوله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمَحْرَجُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ.." ⁸⁵

وكانت النساء قد رغبن الالتحاق بدار الهجرة، وظن المسلمون أن شروط الحديبية تمنع لجوء النساء إلى النبي ﷺ ولكن المسلمين ردوا من جاء حتى نزل قوله تعالى في سورة الممتحنة ولا شك أن المرأة ضعيفة بكل أحوالها، وقد تضعف أكثر عند التعذيب والإهانة، ولا يستطيعن رد الكيد كما فعل أبو جندل وأبو بصير حين تربصوا بالمشركين في طرق التجارة ولكن نظرا لأهمية أمر النساء عند الله فقد نزل بتعليم قرآني. ⁸⁶

وأخيرا... فإن التعليم الذي أنزله القرآن الكريم جمع علوم الدنيا جمعاً من نظرية وتطبيقية، وتكلم عن الأخرة والحساب والعقاب والعودة إلى الله. " أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ" ⁸⁷

1. وربط الروحانية الوجدانية (ما تسمى بالصوفية) بالكون وخالقه وقدرته قال تعالى " إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" ⁸⁸ وأن أبعاد الكون لا يفكر فيها إلا من كان لديه وجدان يقظ ودين قوي... إن الوقوف على معرفة قدرة الله الحققة غاية. ⁸⁹

2. أن التعليم ليس فقط حديث وتفسير وتاريخ وفقه، ولكن أيضا الحسابات والطب ونحوها. وأن حضارة المسلمين قامت على شمولية التعليم وليس شطره.

3. أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أسس دار الأرقم والتقى فيها بالمؤمنين وذلك بعدما اشتد الإيذاء، وكان من قبلها يلتقي بالمسلمين في غار حراء.

4. أن العلم وتعلمه فريضة على كل مسلم ومسلمة وأن المسلم الذي يلتبس طريقا للعلم، هو في حقيقة الأمر يلتبس طريقا للجنة.

5. أن الإسلام لم يفرق بين رجال ونساء في التعليم بل جعل السير في طريقه قرينة للجميع وعلو صالح يقول الله تعالى " وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ قَأُولُكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا" ⁹⁰ لذلك لم يكن التعليم حكرا على فئة دون فئة.

6. أن المؤسسة التعليمية الأولى التي قامت في دار الأرقم لم تكن عشوائية بل كانت تنزل وفق منهج إلهي تعليمي وتربوي في آن واحد. وأن هذا المنهج صنع الرجال الذين جاهدوا، والنساء المجاهدات المضحيات.

7. أن أي حضارة تعليمية لا بد وأن تجتمع في صفحاتها تعليم المرأة وتقوية بأسها من حياة الجهل والشرك.

8. ضرورة مقاومة حالة الجهل التي تخارب المرأة وتراها عورة لا تصلح لعلم ولا تعليم، وأن حسبها في البيت وتجهيلها قربة لله وأفضل لها، وهو إنكار لما خلق الله عليه هذه الأمة.
9. أن العلم هو الطريق الأقوم لرضوان الله، العلم الذي يخرج من بطنه المخلصين المجاهدين بحق.

تأثير الإسلام على عقلية المرأة

وقد ظهرت نماذج من النساء في مسيرة الدعوة وفي مسيرة النبوية ضربن المثل في القيم والمبادئ ورجاحة العقل...
فمثلاً: أمر سلمة رضي الله عنها انقضت الأمة المؤمنة ووقتها من أزمة وذلك يوم الحديبية... يروي البخاري من طريقي السور بن مخرمة، ومروان قالاً: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه بعد عقده لصلح الحديبية. قوموا فاحمروا ثم احلقوا. قال: فوالله ما قام من رجل. وحتى قال الرسول ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أمر سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس. فقالت أمر سلمة: يا نبي الله، أتجيب ذلك؟ أخرج، ثم لا تكلم أحداً منهم، حتى تنحر بدنك وتدعو حالق فيحلقك. فخرج صلى الله عليه وسلم. فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك؟ فقاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً"⁹¹
 فهذه المرأة العاملة ليست فقط على دراية بالقراءة والكتابة وإنما تفهم الفقه العملي كيف تتحرك لتفيد الدعوة، وعندما رأت أن المؤمنين لم يسمعوا الأمر النبي ﷺ فأسهمت في الشورى واقترحت الرأي الذي انقذ المؤمنين،⁹² فتكويها الثقافي جعل منها امرأة حريصة على المسارعة والمشاركة في الاجتماعات العامة فقد كانت جارتها تمشطها ذات يوم، وسمعت صوت النبي ﷺ من الخارج يقول على المنبر "أيها الناس... فتركت الجارية وقالت لها خلي عني، وأسرت بالمشاركة العامة للدعوة، وقالت الجارية لها هو يخصك... فقالت (امر سلمة): إني من الناس،⁹³ فهي عضو فاعل ومتفاعل في الجماعة، تسرع إلى المشاركة في اجتماعاتها، حتى لتؤجل استكمال زينتها حتى لا يفوتها تلبية النداء.⁹⁴
 إن هذه العقلية الحكيمة امتزجت أيضاً التقوى وحب المشاركة في قضايا المجتمع المسلم، فهي من نماذج النساء العاملات اللواتي يعرفن قيمة العمل العام ودون الإخلال بالآداب العامة، فالخاص الآب أن المرأة لا تدل بدلوها في أمور الحياة، حتى أن البعض لا يعطين رأيهن في أمور حياتهن الخاصة.

وهناك نماذج أخرى من النساء قد تأثرت بالتعليم والتربية الإسلامية وقد من كثيراً جداً للدين الإسلامي.

وهذا النموذج هو السيرة أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية (2هـ/650م)⁹⁵

وهي من الراشديات اللاتي تعلمن من الإسلام. فقد شاركت أمة عمارة في عقد تأسيس الدولة الإسلامية الأولى (بيعة العقبة. 2ق هـ/620م) وحضرت بنفسها يوم الفتح الأعظم فتح مكة (8هـ/629م) وقاتلت يوم اليرموك (15هـ/626م) في فتوحات الشام، وقتلت تسعة من جنود الروم بعمود خيمتها، كما أنها كانت من ذوات الرأي والعقل والحكمة... وهي خطيبة صريحة تهنأ أعواد المنابر إذا خطبت، وتقوم على تنظيم النساء المؤمنات، وتتزعمر في المطالبة بها لهن من حقوق وقد سجل المؤرخون أنها ذهبت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم تطالب بحقوق النساء.⁹⁶ وحين التقت بالنبي ﷺ قالت له: أنا وافدة

من خلفي من النساء يقلن بقولي، ومن على مثل رأيي!... إن الله قد بعثك للرجال والنساء... ولقد غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً، من نفسك تعلمنا فيه... فوعدهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوماً لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن... وروت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من ثمانين حديثاً.⁹⁷

إن تعليم السيدة أسماء بنت يزيد في زمن النبي قد جعل منها مناضلة تطالب بالحقوق وتثبت حق النساء في التعليم ومع جلوس المرأة في جلسات الرجال تتمتع إلا أنها طلبت جلسة خاصة للنساء مع رسول الله ﷺ.

أول طببية في الإسلام

شهد الإسلام نموذجاً نساءياً جيداً هو السيدة رفيدة الشهيرة برفيدة الأسلمية... وهذه المرأة تعلمت الطب وقد خصص لها مكان (خيمة) في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان في هذه الخيمة أو المستشفى الذي عالجت فيه المرضى والمصابين في الجهاد وكان الرسول يحترمها ويقدر علمها، وفي غزوة الأحزاب خصص لها النبي خيمة في المعركة تعالج فيها الجرحى، ولقد أصيب الصحابي الجليل سعد بن معاذ بجرح غائر شديد في يده فأمر رسول الله بحمله إلى خيمة رفيدة للعلاج فوراً وقال: لا اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب"⁹⁸ وهناك روايات تبين أن هناك طببية أخرى كان لها خيمة وهذه هي كعبية بنت سعد.⁹⁹ وقيل أن الأسمين لشخص واحد.

وكان في خيمة رفيدة مجموعة من القطن والأربطة والأدوية والأعشاب التي كانت تداوي بها الجرحى، وكان معها مجموعة من النساء يساعدها في علاج المصابين.¹⁰⁰

والعالمات كثيرات... ونلفت النظر الآن إلى مجاهدة عظيمة تحملت الأذى في سبيل الله لأجل الحفاظ على الإسلام. وهذه هي السيرة زنيرة، والسيدة سمية أول شهيدة، وزنيرة كانت تحت سيدها أبي جهل وكان شديد التعذيب لها وقد رأى أبو بكر ما في جسدها من حرق وتعذيب فعرض على أبي جهل شراءها وبعد ذلك اعتقها... وقد أصيبت بالعمى ففرح أهل الكفر وقالوا أن الذي أعماها اللات والعزى. لكنها ردت عليهم بأنها سعيدة بقدر الله وأن اللات والعزى لا يستطيعان إصابتها بشيء وأصبحت في يومها ترى.¹⁰¹

وقد يتحدث أهل اليوم ويقولون أن المرأة لا تحمل ولا تقول ولا تعتبر... والحقيقة على قدر أهل الإخلاص تتحقق التفوقات والآنجازات وهؤلاء النساء أخذن الإسلام من منبعه الأصلي، ولم تذهب إلى عقولهم ثقافات أخرى مذيقة ليست حقيقة، بل هي مذاهب مزورة جعلت المرأة تسكن جهلاً وليس خلقاً جعلتها تترجع عجزاً وليس حياءً.

إن المرأة في عهد رسول الله كما بينا كانت تتعلم تعليم الرجل ولم تكن تعطل هذا العلم، فقد قامت بالدعوة مع الرجل سواء بسواء، وكانت تجاهد أيضاً ولقيت الإصابتة والشهادة في سبيل الله... والتاريخ ذكر (أمر عمارة) نُسبية بن كعب (13هـ/643م) كانت حقيقة الإيمان جريئة في الحق تقدم جهدها لنصرة الدعوة شاركت في بيعة العقبة في (2ق هـ/620م) وكانت من مؤسسي الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وأسرت يوم بيعة الرضوان عند الشجرة في (6هـ/628م) وبايعت

- وهي امرأة على الحرب والقتال. ونزل فيهم قول الله تعالى "لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ...¹⁰²". وفي يوم أحد والشهداء من المسلمين يتساقطون والجيش الإسلامي يفر منه من يفر من بعض الرجال، وأصيب الرسول وكسرت سنه وسالت دماؤه صلى الله عليه وسلم... وبدأ المسلمون في الهزيمة وأعلن ابن قميئة أنه قاتل الرسول ﷺ وقال مندفا نحوه ليقنته وهو يصيح قائلاً: يا محمدا؟ لا نجوت إن نجأ. ومعه رمحه وسيفه ووجهه طعنة شديدة إلى الرسول فإذا أمر عمارة (نسيبة) تسرع للدفاع عن الرسول وتلتقي الطعنة في كتفها وهي مشمرة قد ربطت ثوبها على وسطها... وأسرت أمها تساعد في علاجها، والرسول ينادي على ابنها أن يأتي لعلاج أمه نسيبة وكان مطعوناً هو الآخر...¹⁰³

ووقف النبي يحضب المسلمين الباقين قائلاً: إن مقام امر عمارة يوم أحد خير من مقام فلان وفلان.. وحملوها إلى المدينة، وعندما دخل الرسول ﷺ المدينة بدأ بزيارتها والاطمئنان عليها وسألته الرفقة في الجنة فدعا الله بذلك صلى الله عليه وسلم.¹⁰⁴ ولم تكف بذلك بل سعت دوماً لتحرير المرأة من أية قيود يراها الطبع وتتحرر فيها العادات والتقاليد فتكلمت مع النبي ﷺ بشأن سيد الرجال في المجتمع وقالت له لا أجدرك تذكر النساء بشيء؟؟ فنزل قول الله تعالى "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ"¹⁰⁵ الآية وكما عادت يوم أحد بثلاث عشرة طعنة لم يقعد لها ذلك عن الجهاد، بل قاتلت وجاهدت مع النبي يوم خيبر (ضد اليهود) 7هـ، وحين 8هـ، وفي عهد أبي بكر شاركت في حروب الردة يوم اليمامة 12هـ وضد مسلمة الكذاب واستشهد في المعركة ابنها حبيب بن زيد بن عاصم وقطع مسلمة جثته وفي هذه المعركة فقدت امر عمارة يدها، عادت إلى المدينة وفي جسدها أحد عشر جرحاً فذهب لعيادتها خليفة المسلمين أبو بكر الصديق.¹⁰⁶

خب الله من أضر بالمرأة في عصرنا الحاضر، إن التعليم زمن النبي وفي الحضارة الإسلامية خاصة الفترات الأولى منها كان يصنع الإنسان السليم عقلياً وعقدياً ولم تكن المرأة قد وقعت بين طرق عقيدة خانقة أو غزوات غريبة مرزولة. بعد هذه الرحلة التي طافت بنا حول موضوع: "دور تعليم المرأة في سعادة المجتمع في ضوء سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم"، تم التوصل في نهايتها إلى جملة من النتائج والتوصيات من أهمها:

أهم النتائج

- 1: إن تعليم المرأة يُعدُّ من أعظم القيم المعرفية التي تسهم في بناء الأمة الإسلامية، وتسهم في إعداد المرأة لأداء دورها في سعادة المجتمع.
- 2: تعددت مقاصد تعليم المرأة، فشملت مقاصد إنسانية، ومقاصد شرعية، ومقاصد اجتماعية، ومقاصد تنموية، فالتعليم يُعدُّ من أعظم الوسائل لتحقيق إنسانية المرأة، وتمكينها من أداء التكاليف الشرعية، وإعدادها لأداء دورها الاجتماعي في سعادة المجتمع وفي خدمة الأمة الإسلامية.
- 3: وردت عديد من النصوص الدالة على أهمية تعليم المرأة من القرآن الكريم والسنة النبوية؛ مما يشير إلى الجذور الشرعية لأهمية تعليم المرأة، كما أن السلف الصالح سار على منهاج النبوة بالاهتمام بتعليم المرأة، فهي مصنع الرجال، ومربية

الأجيال، ومشاركة في نهضة الأمة الإسلامية وسعادة المجتمع.

4: أثبتت الشواهد التاريخية تفوق عديد من النساء الفضليات في الميدان العلمي، فقد حققت المرأة المسلمة مكانة علمية عالية على مر عصور التاريخ الإسلامي ومراحلها؛ إذ إن الرسالة المحمدية حثت على طلب العلم، فظهرت نساء عالمات في مختلف مجالات المعرفة وفروعها من نظرية وعملية؛ إذ جلست المرأة كمحدثة وفتية كما كانت أديبة وشاعرة وطبيبة مداوية.

5: إن تعليم المرأة يواجه تحديات خطيرة تعوق نبوغ المرأة، وتؤثر على أداء دورها في سعادة المجتمع الإسلامي، والمشاركة في النهضة، ومن أهم هذه التحديات: الاختلاط وآثاره السلبية على تعليم المرأة ونبوغها، والعولمة ومخاطرها، والانحراف الفكري في مواجهة تعليم المرأة، والمناهج التعليمية وعلاقتها بنبوغ المرأة.

6: يُعدُّ الاختلاط من أخطر التحديات التي تواجه تعليم المرأة ونبوغها، فقد كان الاختلاط من الأسلحة التي استخدمها الاستعمار الغربي في إفساد المرأة المسلمة.

7: تُعدُّ العولمة والعلمانية من التحديات التي تواجه تعليم المرأة، فمخاطر العولمة والعلمانية على تعليم المرأة كثيرة.

8: يُعدُّ الانحراف الفكري من التحديات التي تواجه تعليم المرأة ونبوغها؛ حيث يمثل الفكر وسلامته واستقامته حجر الزاوية في سعادة المجتمع بُحْه قيم المجتمع، وكان من أسباب هذا الانحراف الفكري الانخداع بالأحاديث الموضوعية المتعلقة بالمرأة، ووجود التصورات الخاطئة لدور المرأة في سعادة المجتمع الإسلامي.

9: يُعدُّ التعليم من أعمدة نهضة الأمم وتقدمها، وهو من وسائل الحفاظ على الثقافات الموروثة وسعادة المجتمع، ويمكن من خلال المناهج التعليمية بث المفاهيم والقيم المؤكدة لدور المرأة، وأهمية مشاركتها في سعادة المجتمع، وضرورة هذه المشاركة، وخطورة تهميشها واستبعادها.

10: يجوي تراث الأمة الإسلامية منهجاً تربوياً متكاملًا لإعداد الفتاة المسلمة إعدادًا يخدم بناء شخصيتها، ويخدم في سعادة المجتمع على أسس علمية صحيحة، فقد كان لهذا المنهج التربوي دوره الكبير، وإسهامه الواضح في إخراج أجيال من النساء المسلمات على جانب عظيم من المعرفة العلمية، مع قدر كبير من الالتزام الأخلاقي في سلوكهن.

التوصيات المقترحة:

1: ضرورة التوسع في تعليم أفراد المجتمع الإسلامي، بحيث لا يوجب التعليم بمستوياته المختلفة عن أحد من المسلمين، ولا سيما عن الإناث، اللاتي غالبًا ما يقعن تحت الظلم الاجتماعي في المجتمعات التي لا تطبق الشرع الحنيف، ولا تراعي طبائع الإناث وحاجاتهم.

2: ضرورة بناء ثقافة الفتيات العلمية على نهج السلف الصالح، وفق أهداف وغايات التربية الإسلامية؛ وذلك للحفاظ على هويتهم الإسلامية؛ ليكنَّ ذخيرة الأمة في بناء أجيالها الجديدة وسعادة المجتمع على مقتضى هدي الكتاب والسنة.

- 3: السعي في إبراز الفضليات من نساء السلف الصالح عبر القرون الإسلامية المتعاقبة، ممن كان لهن سبق العلمي في مجالات المعرفة، ودراسة سيرهن، ووضع إنجازاتهن العلمية موضع الاهتمام والبحث عند الفتيات من طالبات التعليم العام والعالي.
- 4: الوقوف على معالم نظام تعليم الفتاة في نظام الإسلام التربوي، ومحاولة محاكاته في أنظمة التعليم الحديثة؛ ليقوم البناء التربوي على أسس راسخة من تراث الأمة الحضاري والعلمي.
- وفي الختام نسأل الله تعالى أن نكون قد وُفِّقنا في دراسة هذا الموضوع، فما كان فيه من صواب فممن فضل الله، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن والاه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

- ¹ المؤمنون الآية 37
- ² المجاثية الآية 24
- ³ مسلم باب النهي عن سب الدهر. وأخرجه البخاري بلفظ: يسب بنو آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار
- ⁴ يونس الآية 87
- ⁵ النساء الآية 15
- ⁶ د. مصطفى محمود طريق العلم مقال جريدة لإهرام المصرية العدد 6411 صفحة 6
- ⁷ انظر محمد الحفري تاريخ الأنبياء طبعة دار الشعب مصر 1962، ص 13، 12، على سبيل المثال، وكذلك د: محمد الطيب النجار تاريخ الأنبياء طبعة دار المعارف، 1980م، القاهرة، ص 35، 36
- ⁸ البيهقوري شرح البيهقوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد طبعة الأزهر 1960م، ص 15: 22
- ⁹ البقرة الآية 31
- ¹⁰ انظر على سبيل المثال: القرطبي، التفسير لجامعة الأحكامم القرآن، طبعة دار الكتب المصرية 1970، ج 1، ص 65، 66. محمد طيب النجار، تاريخ الأنبياء، ص 27
- ¹¹ البقرة الآية 32
- ¹² سورة القلم الآية 41
- ¹³ الذاريات الآية 21
- ¹⁴ الليل الآية 1: 3
- ¹⁵ آل عمران الآية 19، 191
- ¹⁶ الواقعه الآية 75-76
- ¹⁷ النجم الآية 16
- ¹⁸ الإسراء الآية 12

- ¹⁹ البقره 43
- ²⁰ انظر د. محمود حمدي زقزوق الحضارة فريضة إسلامية طبعه الهيئة المصرية للكتاب 2008 ص 21
- ²¹ د. محمود زقزوق، الحضارة، ص 14
- ²² رواه أبو داود في كتاب العلم، والترمذي في كتاب العلم، وابن ماجه وابن حبان وغيرهم
- ²³ المؤمنون الآيه 27
- ²⁴ ص. الآيه 10، 11
- ²⁵ رواه البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، ج 1، ص 175 / ومسلم كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم، في ج 4، ص 787، برقم 2282
- ²⁶ هذا الحديث قد صح من رواية ابن مسعود، رواها سماك بن حرب عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه؛ أخرجه أحمد 4157، والترمذي 2657
- ²⁷ صحيح مسلم كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته
- ²⁸ رواه الترمذي، ج 2، ص 108
- ²⁹ رواه ابن ماجه 224، وحسنه بكثرة طرقه وشواهد: المزي والزرکشي والسيوطي والسخاوي والذهبي والناوي والزرقاني، وهو في "صحيح ابن ماجه" للألباني
- ³⁰ أخرجه الحاكم في المستدرک ج 1 ص 92، والترمذي في العلل والبيهقي في المدخل من طريق الحاكم، والطبراني في الأوسط والبرزاري في البحر الزخار وأبو نعيم في الحلية من طريق الطبراني بإسناد حسن
- ³¹ الأنفال، الآيه 60
- ³² د. سعيد عبدالفتاح عاشور المدنية الإسلامية طبعة دار الانجلو المصرية 1968 ص 18، 19
- ³³ جوستاف لوبون، حضارة العرب، تعريب عادل زعير، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب 2000 م ص 440
- ³⁴ محمد فارسي، حضارة المسلمين في أوطان دار الرشيد بالعراق 1982 م، ص 70، 71
- ³⁵ انظر: نعمات أحمد فؤاد حول شخصية المسلم الحضاري فقال في جريدة الشرق الأوسط - السعودية 1422 هـ عدد 8110 ص 14
- ³⁶ محمد الغزالي، مستقبل الإسلام خارج أرضه، كيف نفكر فيه، طبعة الأردن 1987 م ص 18، 19
- ³⁷ انظر الواقعة تفصيليا في سيرة ابن هشام الجزء الأول ص 236
- ³⁸ الأعراف 181
- ³⁹ انظر: خالد محمد خالد، رجال حول الرسول، ص 18
- ⁴⁰ كامل سلامة القدس؟؟ الرسول من التكوين إلى التمكين دار عمارة عمان ط 1، 1415 هـ / 1994 م، ص 219
- ⁴¹ الأحزاب الآيه 40
- ⁴² الحجرات الآيه 2
- ⁴³ الحشر الآيه 11
- ⁴⁴ كامل سلامة، دولة الرسول، ص 221
- ⁴⁵ عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، ط 9 دار المعارف بالقاهرة 1986 ص 26
- ⁴⁶ الحجرات الآيه 10

- ⁴⁷ انظر محمد علي الصلاحي. السيرة النبوية. ص 90
- ⁴⁸ محمد الغزالي. فقه السيرة. ص 88
- ⁴⁹ ابن حجر العسقلاني. الإصابة في تمييز الصحابة. طبعة القاهرة 1970، تحقيق د. شعيب الأرنؤوط. المقدمة، ج 1، ص 76
- ⁵⁰ الكهف الآيه 28.
- ⁵¹ البقرة الآيه 282
- ⁵² إحياء علوم الدين. طبعة دمشق 1980 ج 1، ص 49
- ⁵³ النساء الآيه 5
- ⁵⁴ المواردي... ط القاهرة 1975 ص 72
- ⁵⁵ فاطر الآيه 28
- ⁵⁶ انظر على سبيل المثال: ابن الأثير. الكامل في التاريخ. طبعة بيروت 1985 ج 1 ص 498. المقرئزي. إمتاع الاسماء. طبعة دار السلام دمشق، 1999 ج 1، ص 98
- ⁵⁷ د. حسين مؤنس. تاريخ قریش. طبعة دار الرشاد 2007، ص 327، 328
- ⁵⁸ خالد محمد خالد. خلفاء الرسول. ط 10. بيروت 1980 ص 291
- ⁵⁹ انظر د. محمد علي الصلاحي. السيرة النبوية. ص 93
- ⁶⁰ ابن سيد الناس عيون الأثر طبعة القدسي بالقاهرة. الطبعة الثانية. 1974 ج 1، ص 98
- ⁶¹ د. حسين مؤنس. قریشي 328، 329
- ⁶² ابن سيد الناس عيون الأثر. ج 1، ص 98
- ⁶³ د. حسين مؤنس. عيون الأثر. ج 1، ص 239
- ⁶⁴ د. حسين مؤنس. عيون الأثر. ج 1، ص 229
- ⁶⁵ د. حسين مؤنس. قریشي. ص 242
- ⁶⁶ د. محمد عمارة. التحرير الإسلامي للمرأة. طبعة دار الشروق بالقاهرة. ص 14
- ⁶⁷ ابن هشام. السيرة. ج 1، ص 368، طبقاً لرواية ابن اسحاق.
- ⁶⁸ باب عظمة الإمام النساء وتعليمهن.
- ⁶⁹ صبح الأعشي في صناعة الانشا. طبعة مصر 1966. ج 5، ص 222
- ⁷⁰ راجع الشوكاني، نيل الاوطار شرح حديث الشفا، وانظر تفصيل ذلك، عبد المحي الكتاني، التراتيب الإدارية، ج 1، ص 50، 51
- ⁷¹ الكتاني. التراتيب الإدارية، ج 1، ص 54
- ⁷² المجادلة الآيه 1
- ⁷³ انظر الكتاني التراتيب الإدارية ج 1، ص 56
- ⁷⁴ انظر الكتاني التراتيب الإدارية ج 1، ص 56، 58
- ⁷⁵ محمد الغزالي. السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث. ط 18، دار الشروق، 2004، ص 58، 59
- ⁷⁶ رواه البخاري، رقم 808، ومسلم 126

- 77 محمد ابراهيم الغامدي. محترزات تعليم المرأة. رسالة للمرأة المسلمة. طبعة الرياض 1421هـ، ص 160
- 78 رواه الإمام أحمد في مسنده.
- 79 محمد الغزالي. قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة. طبعة دار الشروق 1999 ص 24، 25.
- 80 محمد عمارة تحرير المرأة ص 35.
- 81 القصص الآيه 23
- 82 القصص الآيه 26، 24.
- 83 محمد عمارة. تحرير المرأة 36
- 84 محمد متولى الشعراوي. المرأة المسلمة. طبعة دار أخبار اليوم في القاهرة. 1983. ص 40
- 85 الممتحنة 10
- 86 محمد الغزالي. فقه السيرة. ص 622
- 87 المؤمنون الآيه 115
- 88 الأعراف الآيه 54
- 89 للمزيد انظر: محمد الغزالي. المحاور الخمسة في القرآن الكريم. طبعة 3. 2006. دار الشروق مصر. ص 62 وما بعدها
- 90 النساء الآيه 124
- 91 البخاري ج 2. الشوط مع الكفار في الجهاد.
- 92 د. محمد عمارة. التحرير الاسلامي للمرأة. ص 28، 29.
- 93 ابن سعد، الطبقات الكبير، ج 10، ص 122 (فصل زوجات النبي)
- 94 د. محمد عمارة. التحرير الاسلامي للمرأة ص 39
- 95 انظر ترجمتها في ابن حجر العسقلاني. الإصابة. ج 9، ص 51
- 96 د. محمد عمارة. التحرير الاسلامي للمرأة. ص 19
- 97 د. محمد عمارة. المرجع السابق. ص 19
- 98 ابن الأثير. اسد الغابة في معرفة الصحابة. بيروت 1980. ج 7، ص 122
- 99 ابن هشام. السيرة. 3، ص 258
- 100 انظر. ابن سعد. الطبقات. ج 10، ص 291
- 101 د. عبد الصبور شاهين. مشتركة طبعة دار الاعتصام. القاهرة 1996 ص 31
- 102 الفتح الآيه 18
- 103 انظر ترجمتها في الإصابة. ج 9 ص 148
- 104 د/ محمد عمارة. التحرير الاسلامي للمرأة. ص 18
- 105 الاحزاب الآيه 35
- 106 د. محمد عمارة. التحرير الاسلامي. ص 19